مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: دراسة اقتصادية ونقدية وتحليلية لكتاب "الحث على التجارة والصناعة والعمل" لأبي بكر الخلال 311هـ/923م
اسم الكاتب: ماهر العبد الظاهر، اكتمال إسماعيل
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/10452
تاريخ الاسترداد: 2026/11/22 16:44 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
المجلد 149 (1): 61-77 .

Damascus university journal of Historical Studies
V 149 (1):61-77

دِراسَةٌ اقتصادِيَّةٌ ونَقْدِيَّةٌ وتَحْليليَّةٌ لكتابِ "الحثّ على التِّجارةِ والصِّناعَةِ والعَمَلِ" لأبي بَكْرِ الخلَّال 311هـ/923م

ماهر العبد الظاهر[1]، اكتمال إسماعيل[2]

[1] طالب دراسات عليا (دكتوراه)، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ.

[2] أستاذة دكتورة، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ.

الملخَّص:

برزت المؤلفاتُ الاقتصاديَّة في العصر العربي الإسلامي مع بروز التَّدوين في العصر العباسيِّ الأوَّل، وحملت الأفكارَ الاقتصاديَّة في قوالب دينية كالقرآن والسنة النبوية الشريفة لقُرْبِ عَهدِ تأليفِها من عَهدِ النبوة والخلافة الراشدة، ويمثل كشف اللثام عن هذه الأفكار الاقتصادية وتأصيلها تحدياً يجابه الباحثينَ اليومَ، فتكون في ترتيبها وتصنيفها ضمن علم الاقتصاد سبقاً للحضارة العربيّة والإسلامية، ولذلك تكمن في الدراسة الاقتصادية لكتاب "الحث على التجارة والصناعة والعمل" لأبي بكر الخلَّال إحدى المحاولات الجادة لإظهار إسهام علماء المسلمين في وضع البنى الأولى لعلم الاقتصاد تأكيداً لعلميتهم.

تتضمن الدراسة مقدمة وعناوين عريضة أولها التَّعريف بالمؤلف أبي بكر الخلَّال، ثمَّ التعريف بكتابه "الحث على التجارة والصناعة"، وبيّن الباحث تحت عنوان "الموارد الاقتصادية في كتاب الحث على التجارة والصناعة والعمل" وبيّنَ أهمِّ المصادر التي استقى منها المؤلف مادته، وكذلك بيان الأفكار الاقتصادية في الكتاب، والاستشهاد بما جاء به أبو بكر الخلَّال من موارده الاقتصادية، وانتهى البحث بخاتمة بيّنت أبرز النقاط التي تم التوصل إليها في عرض الدراسة، من ثم قائمة لمصادره ومراجعه.

الكلمات المفتاحية: دراسة اقتصادية، أبو بكر الخلال، الحث على التجارة والصناعة، أفكار اقتصادية.

تاريخ الايداع: **2023/8/27**
تاريخ النشر: **2023/9/21**

حقوق النشر: جامعة دمشق –سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب **CC BY-NC-SA**

An Economic, Critical, And Analytical Study Of The Book “Alhath Ala Altijarah Wa Alsinaha” By Abu Bakr Al-Khalal 311AH/923AD

Maher Alabd Aldaher [(1)] Ektimal Esmail [(2)]

[(1)] Postgraduate student (PhD), Damascus University, Faculty of Arts and Humanities, Department of History.

[(2)] Professor, Damascus University, Faculty of Arts and Human Sciences, Department of History

Abstract:

Economic literature emerged in the Arab-Islamic era with the emergence of the blogging era, and these literature came loaded with economic ideas within religious templates such as the Quran and the Noble Prophet’s Sunnah, and therefore because of their close era to the era of the Prophethood and the Rightly Guided Caliphate-Rashidun Caliphate-. Unearthing these ideas and rooting them is a challenge facing today's researchers, so that in their arrangement and classification within the science of economics, they are a precedent for the Arab-Islamic civilization.

So the economic study of Abu Bakr Al-Khalal’s book “Alhath Ala Altijarah Wa Alsinaha” is one of the attempts in this field, and a proof of the scientificity of what Arab Muslim scholars came with. The study includes an introduction and broad headings, the first of which is the definition of the author Abu Bakr Al-Khalal, then the introduction of his book “Alhath Ala Altijarah Wa Alsinaha”. Under the title "Economic Resources in the Book of Alhath Ala Altijarah Wa Alsinaha", the researcher explained the most important sources from which the author drew his material, then moved on to the most important economic ideas in the book, which were discussed and cited by Abu Bakr Al-Khalal from his economic resources, and the research ends with a conclusion showing the most important points reached in the presentation of the study, then a list of its sources and references.

Key words: An economic study, Abu Bakr Al, Khalal, Alhath Ala Altijarah Wa Alsinaha, economic ideas**.**

Received: **27/8/2023**
Accepted: **21/9/2023**

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a **CC BY- NC-SA**

- **مقدمة:**

تُعدُّ كتب التراث العربي الإسلامي في علم الاقتصاد جزءاً مهماً في منظومة المعرفة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وقد بذل العلماء المسلمون مطلع القرون الهجرية الأولى جهداً كبيراً في تدوين هذا التراث، لحاجتهم إليه وللاستفادة منه في حل المشكلات التي تواجههم، وليبقى إرثاً عربياً إسلامياً لا غنى عنه في العصور اللاحقة.

ومن كتب التراث الاقتصادي كتاب "الحث على التجارة والصناعة والعمل" لأبي بكر الخلال، صنفه حلاً لظاهرة شاعت بين طائفة من الناس في عصره، وهي أنهم استغنوا عن العمل واستبدلوه بالتوكل على الله دون الأخذ بالأسباب، فجاء هذا الكتاب رداً عليهم، يحثُّ فيه على العمل كما أمر الله عز وجل ورسوله .

يعد الفكر الاقتصادي المحور الأساسي لدراسة كتاب أبي بكر الخلال، إذ شكّلت أفكاره الاقتصادية ركيزة رئيسة للفكر الاقتصادي العربي الإسلامي في عصره، فالحث على العمل في أنواعه كافة، والكسب الحلال ثم الإنفاق في وجوهه الحقّة، حلقة تدور في فلك كل مجتمع إسلامي، ورأس مال يدور دورته الطبيعية في هذا المجتمع، وهذا ما يؤثر إيجاباً في مصلحة الفرد والجماعة.

يعرض الكتاب أفكاراً اقتصادية عدة، منها: الحثُّ على الكسب الحلال، وبيان أن الموارد الاقتصادية في السعي إلى هذا الكسب متنوعة وكثيرة، ولا سبيل للتكاسل والاعتماد على صدقات الناس دون وجه حق، وأن جوهر الإنسان هو العمل، ويوّضح أبو بكر الخلَّال أن هذا العمل هو طريق للإنفاق الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي، إذ يحفظ للفرد كرامته ويجعله بمنأى عن السؤال، ويعطي الفقير والعاجز حقه من مال الأغنياء.

قدَّم أبو بكر الخلَّال فكره الاقتصادي في صبغة دينية مستنداً إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف، مبتعداً عن إبداء رأيه الخاصّ، وكأنه يقدّم فكره بلسان الإسلام بلا تعديل أو تغيير، إذ يراه متكاملاً لا ينقصه من البيان والتوضيح سوى التفكّر.

- **إشكالية البحث وأهميته:**

تتمثل إشكالية البحث في افتراض وجود فكر اقتصادي في كتاب أبي بكر الخلَّال "الحث على التجارة والصناعة العمل"، إذ إن الكتاب صغير الحجم، ويتضمن مئة وثمانياً وعشرون رواية فقط، متنوعة الموارد، منها القرآن الكريم، والسنة النبوية، وآثار السلف، وخاصة أن الكشف عن الأفكار الاقتصادية فيه يحتاج إلى دراية بعلم الاقتصاد والشريعة الإسلامية، وعلى هذا تشكل برهنة وجود فكر اقتصادي في الكتاب سالف الذكر إشكالية وجب البحث فيها وبيان حقيقتها من عدمها.

- **أهداف البحث وأسئلته:**

يهدف البحث إلى التعريف بشخصية أبي بكر الخلَّال والكشف عن جوانبها قدر المستطاع، والتعريف بكتاب "الحث على التجارة والصناعة"، ومعرفة دوافع تصنيفه، والكشف عن أهم الأفكار الاقتصادية التي جاء بها، ويجيب البحث عن بعض الأسئلة التي تدور حولها الدراسة، ومنها: هل كان أبو بكر الخلَّال مؤلفاً أم مصنفاً؟ وهل جاء كتابه مفيداً في جملة كتب التراث العربي الإسلامي في مجال الفكر الاقتصادي؟ وهل كانت أفكاره متطابقة لعصره أو إنها كانت سباقةً في هذا النوع من ميادين العلم والمعرفة؟

- **منهج البحث:**

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التاريخي، ثم المنهج التحليلي، وذلك باستخراج الأفكار الاقتصادية المتعلقة بموضوع الدراسة من كتاب "الحث على التجارة والصناعة والعمل" وتحليلها تحليلاً علمياً وموضوعياً بعيداً عن الأهواء والميول الشخصية، ومن ثَمَّ الوصول إلى الآراء والأفكار التي توضّح صورة الفكر الاقتصادي في عصر المؤلف.

أولاً: التعريف بالمؤلف: أبي بكر الخلّال (234-311هـ/848-923م)

على الرغم من عدم استفاضة المصادر التاريخية منها والفقهية بترجمة أبي بكر الخلال، وعلى الرغم من الغموض الذي يحيط بمسيرته الأولى، ذكرته أغلب المصادر بشذرات تكاد تكون متشابهة ومنقولاً بعضها من بعض، فقد أثنت عليه من حيث أثره في المذهب الحنبلي، وعددت مؤلفاته، وأشارت إلى وفاته.

أبو بكر الخلّال هو أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي المشهور بالخلّال ، الفقيه العلامة المحدث، أحد العلماء البارزين في المدرسة الحنبلية، ولد في بغداد سنة 234هـ/848م، ولا يُعرف عن طفولته شيء، سوى أنه كان تلميذاً لعبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبي داود السجستاني[1]، ويعقوب بن سفيان الفسوي[2]، والعباس بن محمد الدوري[3]، وهؤلاء أئمة في الحديث، وقد سمع مسائل أحمد بن حنبل من تلامذته مثل الحسن بن عرفة، وسعدان بن نصر، وأبي بكر المرّوذيّ، ومحمد بن عوف الحمصي، وجميعهم تلقوا العلم من ابن حنبل، وهم أكثر من صحبوا الإمام، ولأن علم ابن حنبل كان منثوراً في صدور تلاميذه في الأصقاع، سافر أبو بكر الخلّال وارتحل وجاب الأصقاع ليسمع منهم ويجمع هذا العلم في الكتب التي ألفها، وليس هناك أفصح مما قاله الخطيب البغداديّ في هذا الأمر: "وكان ممن صرف عنايته إلى الجمع لعلوم أحمد بن حنبل وطلبها، وسافر لأجلها، وكتبها عالية[4] ونازلة[5]، وصنفها كتباً، ولم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أجمع منه لذلك"، (الخطيب البغدادي، 2001م، ج6، ص300)، ومن أشهر تلامذته وممن روى عنه محمد بن المظفر الحافظ والحسن بن يوسف الصيرفي، وكان ممن صحبه ولزمه أبو بكر عبد العزيز بن جعفر حتى لقِّب "غلام الخلال". (أبو يعلى، 1999م، ج3، ص23-27) (الذهبي، 1992م، ج3،

---

[1] سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السّجِستانيّ، وُلِد بإقليم سجستانَ في خراسان سنة 202هـ/275م، تلقّى العلم في بلده، ثم ارتحل لطلب الحديث، إلى والحجاز والعراق، ومصر والشام، وأصبهان وفارس، أقام بطرطوس عشرين سنة، تتلمذ على يد أحمدَ بنِ حنبل في بغدادَ، وتأثَّر بمنهجه في كتابة الحديث الشريف، وله مصنفات كثيرة أبرزها "السنن"، توفي سنة 275هـ/888م. (ابن الجوزي، 2000م، ج2، ص276) (ابن فضل الله العمري، 2002م، ج5، ص436-437) (الغزي، 1990م، ص269)

[2] يعقوب بن سفيان بن جوّان الفارسيّ الفسوي، ولد في حدود سنة 190هـ/805م بمدينة فسا أو بسا في إقليم فارس، طلب العلم في المشرق والمغرب، وروى عن ألف شيخ كلهم ثقات، ويعد من أشهر علماء بلاد فارس وأبرز محدثي القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، له عدة مصنفات، توفي في مدينة البصرة سنة 277هـ/890م. (الذهبي، 1992م، ج1، ص582) (الحموي، ، ج3، ص892) (خليفة، ، ج1، 1941م، ص299) (ابن العماد، 1989م، ج2، ص171)

[3] العباس بن محمد بن حاتم بن واقد الدوري أبو الفضل البغدادي، مولى بني هاشم، خوارزمي الأصل، ولد سنة 185هـ/801م، من أهم رواة الحديث النبوي الشريف وكان أحد الأثبات المنصفين، توفي سنة 271هـ/884م. (الذهبي، 1992م، ج1، ص261) (الرباط، إمام، 2009م، ج2، ص92)

[4] الإسناد العالي: هو قلة عدد رجال سند الحديث، وهو ما كان أقرب سنداً لرسول الله ﷺ، وقد حرص عليها علماء الحديث، وكلما قل عدد الرواة كلما قلّت إمكانية الضعف في الأسانيد. (الصنعاني، 1997م، ج2، ص227)

[5] الإسناد النازل: وهو على العكس من الإسناد العالي، أي هو الذي لا يرويه الراوي إلا من طريق سند طويل وذلك حسب رجال السند، كلما زاد عدد الرواة كلما زادت احتمالية وجود الضعف في الأسانيد. (الصنعاني، 1997م، ج2، ص227)

ص785) (ابن كثير، 1998م، ج15، ص5) (سزكين، 1991م، ج3، ص234) (الزركلي، 2002، ج1، ص206) (الشيرازي، 2016م، ص171)

ألّف أبو بكر الخلّال كثيراً من المؤلفات في مسائل وفتاوى ابن حنبل، من أبرزها "كتاب السنة" في ثلاثة مجلدات، و"كتاب العلل" يقع في عدة مجلدات، و"كتاب الجامع لعلوم ابن حنبل" أو "المسند من مسائل ابن حنبل"، وهو كبير جداً، ويضم مجموعة من رسائل ابن حنبل ومسائله التي تتكون من مئتي جزء، ولم يقاربه أحد في حجم هذا الكتاب، وقد جمعها في رحلاته الطويلة، وأيضاً كتاب "طبقات أصحاب ابن حنبل"، وكتاب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وله خمسة عشر مصنفاً تقريباً، ويكفي قول الذهبي في تصانيف أبي بكر الخلال: "جامع علم أحمد ومرتبه" (الذهبي، 1992م، ج3، ص785)، ويمكن القول: إن تأليفه لكتاب "الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدّعي التوكل وترك العمل والحجة عليهم"، موضوع الدراسة، هو الأبرز والأهم في موضوع البحث –الفكر الاقتصادي–. (أبو يعلى، 1999م، ج3، ص24) (ابن الجوزي، 1992م، ج13، ص220) (خليفة، 1941م، مج1، 576) (الجنيدل، 1985م، مج2، ص115–118) (سزكين، 1991م، ج3، ص234) (الشيرازي، 2016م، ص171)

عاش أبو بكر الخلّال في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، حتى بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وعاصر تسعة من الخلفاء العباسيين، وُلِدَ مع ولادة عصر النفوذ التركي (232–334هـ–847–946م)، وانتقال الدولة من المركزية إلى اللامركزية في نظام الحكم، وقيام دول انفصالية مستقلة، وعلى الصعيد الديني ظهور الاعتزال، وبعض النزعات الدينية التي تقول بالتوكل على الله دون السعي والعمل، بدعوى أن الله خلق الإنسان للعبادة فقط، وهذا ما يُخالف النص القرآني والسنة النبوية في الدعوة إلى العمل والكسب. (طقوش، 2009م، ص156) (بيطار، 1997م، ص172–276)، وهذا ما دفع أبو بكر الخلّال إلى تأليف كتابه في الاقتصاد، داعياً فيه إلى العمل والسعي لكسب الرزق، راداً فيه على من قال غير ذلك ممن اكتفى بالعبادة فقط والتوكل دون الأخذ بالأسباب.

عمّر أبو بكر الخلّال ما يقرب من ثمانين سنة، وكان يلقي دروسه في جامع المهدي[1]، وتصانيفه تدل على سعة علمه، وكان منهجه في التعليم ما أثر عنه: "ينبغي لأهل العلم أن يتخذوا للعلم المعرفة له، المذاكرة به، ومع ذلك كثرة السماع وتعهده والنظر فيه" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص3)، وقيل فيه: إن "كل من طلب العلم لا بدّ له أن يقابل أبا بكر الخلال، من يقدر على ما يقدر عليه الخلال؟" (الخطيب البغدادي، 2001م، ج6، ص300)، وكان مشهوراً بالزهد وروي عنه أنه قال: "بلغني أن أحمد سأل عن الزاهد يكون زاهداً ومعه دينار؟ قال نعم شريطة إذا زادت لم يفرح وإذا نقصت لم يحزن" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص7)، وكان شيوخ المذهب الحنبلي يشهدون له بالفضل والتقدم، تُوُفِّيَ في بغداد في سنة 311هـ/923م، ودفن إلى جانب أبي بكر المروذي، (ابن كثير، 1998م، ج15، ص5) (الذهبي، 1992م، ج3، ص785) (الصفدي، 2000م، ج8، ص65) (ابن العماد، 1989م، ج4، 55) (أبي يعلى، 1999م، ج3، ص23–27) (ابن تغردي بردي، 1992م، ج3، ص235)

---

[1] مسجد المهدي أو مسجد الرصافة، بناه الخليفة العباسي سنة 158هـ/774م، ويقع في الجانب الشرقي من نهر دجلة مقابل مدينة بغداد المدورة، وكانت صلاة الجمعة لا تقام ببغداد إلا في جامع المنصور وجامع المهدي، وكان يُقرأ فيه الاعتقاد القادري في كل جمعة عندما ظهرت مسألة خلق القرآن، وكان يعظ فيه الوعاظ والفقهاء، أملى فيه نظام الملك وزير السلاجقة، وتعرض للفيضان في سنة 569هـ/1173م. (ابن الجوزي، 1992م، ج13، ص5، ج14، ص354، ج15، ص238،271،328، ج16، ص153،195،304، ج17، ص130،135، ج18، 206) (الحموي، 1977م، ج3، ص46) (عبد الحافظ، الخضر، 202م، ص5،6)

ثانياً: التعريف بكتاب أبي بكر الخلّال والمنهج في كتابته:



(الصفحة الأولى من نسخة برلين)

يعدّ كتاب "الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدّعي التوكل وترك العمل والحجة عليهم"، كتاباً مختصراً أشبه بالكتيب، وله خمس نسخ مخطوطة، أولها نسخة المكتبة الظاهرية، وهي نسخة كاملة، تؤلف بمجموعها مئة وثماني عشرة ورقة، برواية موفق الدين ابن قدامة المقدسي، سُمعت منه سنة 614هـ/1217م، والثانية أيضاً في المكتبة الظاهرية بمجموع مئة وثلاث عشرة ورقة، وهي ناقصة من آخرها، برواية عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي، وسمعها عبد الغني بن عبد الله بن منصور الموصلي في سنة 564هـ/1168م، ونسخة ثالثة في برلين الغربية، كُتبت سنة 1335هـ/1916م، في أربع وثلاثين ورقة، ونسخة منشورة في مكتبة المقدسي بدمشق سنة 1348هـ/ 1929م، ونسخة في ليدن–شرقيات، ذكرها سزكين في إحدى وثلاثين ورقة، وقد حققه عدة أساتذة، أولهم محمود بن محمد الحداد سنة 1986م، وحققه عبد الفتاح أبو غدة سنة 1995م، وآخر من حققه رفعت العوضي سنة 2022م، (سزكين، 1991م، ج3، ص234)

جاء الكتاب في نسخة برلين في أربع وثلاثين ورقة من القطع الصغير، بنوع خط أقرب ما يمكن وصفه بخط الرقعة وهذا على عادة مخطوطات القرن الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، وتحتوي الصفحة الأولى كما هو موضح بالصورة المرفقة، العنوان، وبعض التعليقات عند السماع، والهوامش مختلفة من صفحة لأخرى، ففي الصفحة الثانية يُلاحظ أن الهامش الأيمن للصفحة حوالي (4 سم)، والهامش الأيسر حوالي (2 سم)، بخلاف الصفحة الخلفية للورقة الواحدة، إذ يضيق الهامش الأيمن إلى (2 سم)، ويتسع الأيسر إلى (4 سم)، أما الهوامش العلوية والسفلية فهي ثابتة بحدود (2 سم)، وعلى عادة مخطوطات التاريخ، يُعاد كتابة الكلمة الأولى في الصفحة في زاوية الصفحة اليسرى السفلية التي قبلها.

يأتي موضوع الكتاب ضمن إطار الفكر الاقتصادي الإسلامي، وكان الدافع لكتابته، وكما سلف الذكر، هو الرد على ذوي التوكل من بعض الصوفية والجهلة الذين ظهروا في القرن الثالث لهجري/التاسع الميلادي، ممن قالوا بالتوكل على الله دون السعي للعمل، والانصراف إلى التعبد والتزهد، والتفرغ للعبادة وترك الدنيا بما فيها أعمالها، والجدير بالذكر أن الكتاب ليس الأول من نوعه

ودوافعه، بل سبقه في ذلك محمد بن الحسن الشيباني (ت189هـ/804م)[1] في كتابه "الكسب في الرزق المستطاب"، وكانت الدوافع نفسها، ومن عنوان الكتاب يُلاحظ أن محتواه هو التشجيع على ممارسة التجارة والصناعة ومختلف الأعمال التي شرّعها الدين الإسلامي، عوضاً من تركها والتوكل على الله دون الأخذ بالأسباب. (الجنيدل، 1985م، مج2، ص116) (أبو بكر الخلال، 2022م، ص1-60)

قسّم أبو بكر الخلّال كتابه إلى أربعة فصول، بيّن في الفصل الأول النصوص التي حثت على التجارة والصناعة والعمل، والفصل الثاني مقالة "كراهية التقلل من المطعم ودخول المفاوز بغير زادٍ ونفقةٍ" وأن العمل لا ينافي التوكل، وأورد في الفصل الثالث نصوصه في "الحجة على الذين يزعمون أنهم يتوكلون فيتركون العمل"، وخصص الفصل الرابع لنصوص استقاها في مقالة "التوكل الحقيقي"، تحت عنوان "باب جامع التوكل لمن استعمله على الصدق".

والمنهج المتبع في الكتابة هو إيراد الأدلة وحشدها، فساق جملة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وجملة من آثار السلف السابقين له، وجميعها تحثُّ على السعي والكسب وتحصيل الرزق المشروع، ولم تتضح شخصية أبي بكر الخلَّال في الكتابة سوى أنه مجرد جامع ومرتب للنصوص الواردة ضمن المواضيع التي اختارها لكتابه، ويبدو أن سبب اتباعه هذا المنهج، وعزوفه عن الاستدراك والتذييل أو إبداء الرأي هو اعتقاده بأن من سبقه لهم فضل السبق، وهم أهل العلم والمعرفة، فيرى أن يحفظ آراءهم دون تعديل أو إضافة، وفي هذا موافقة ضمنية لجميع ما نقله في إطار الموضوع الواحد، ومن ناحية أخرى وجدها كافية البيان للرد على القائلين بفكرة التوكل، وعلى هذا المنهج المتبع يُنكر أبو بكر الخلَّال ذاتَه، ولم يزكِ نفسه، وهو ما هو عليه من العلم والمعرفة، وهو من خيرة أئمة المذهب الحنبلي، وهذه سمة العلماء والفقهاء. (الجنيدل، 1985م، مج2، ص117) (أبو بكر الخلال، 2022م، ص1-60)

لغته كانت سليمة وواضحة البيان دون الغوص بمفردات اللغة العربيّة فجاءت واضحة وسهلة لأبناء عصره، ويُلاحظ أن أبا بكر الخلَّال دوّن الروايات التي نقلها عن الإمام أحمد وغيره في هذا الكتاب بصيغتها الأصلية التي نُقلت عنهم، فأبقى عليها ولو كان فيها بُعداً عن قواعد اللغة العربية، ويُعزى ذلك إلى الزيادة في الأمانة والضبط، والابتعاد عن التصرف في الكلام، ومن ذلك ما جاء في الرواية السادسة عند قوله: "وأبواي يريدوني" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص13)، وهي كلمة لفظة عاميّة معناها "يريد مني"، وفي الرواية التاسعة أيضاً عند قوله: "ايش تسألني" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص14)، ومعنى كلمة "ايش" في هذا الموضع هو "لأيّ شيء" أو "لأي سبب"، وكذلك في الرواية السادسة بعد المائة في قوله: "فأيش هذا إلا البيع والشراء"، (أبو بكر الخلال، 2022م، ص49)، ومعناها "أي شيء"، ويبدو أنه لكثرة تكرار هذه المفردات على الألسنة تختصر ويُحذف منها بعض الأحرف. (أبو بكر الخلال، 1995م، ص12،13)

على أي حال يعدّ كتاب "الحث على التجارة والصناعة والعمل" وثيقة مهمة في تاريخ الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، سواء أكان قد تم تأليفه رداً على جماعة من الناس لأخذهم التوكل على الله دون السعي للكسب، أو لسبب آخر، ويؤلف بأوراقه مجموعة من الشواهد والأدلة الرصينة على دحض ترك العمل، وهذه الأدلة منسوبة إلى قائليها، وهذه ميزة السند، تُضاف إلى قيمة الكتاب،

---

[1] أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، ولد في واسط أواخر العصر الأموي، انتقل إلى الكوفة حيث مدينة العلم وتعلّم فيها، واقبل على المذهب الحنفي، ارتحل إلى أماكن عدة طلباً للعلم منها المدينة حيث الإمام مالك بن أنس، ومكة، والشام حيث الإمام الأوزاعي، وانتهى به المطاف في بغداد، حيث تقلّد القضاء في عهد هارون الرشيد لفترة وجيزة، أوقف الشيباني نفسه للعلم تعليماً وتصنيفاً، توفي سنة 189هـ/804 في مدينة الري. (الذهبي، 1998م، ص79-94) (الصيرمي، 1985م، ص125-133)

والميزة الأخرى في الكتاب هي أن أبا بكر الخلّال ممن يحسنون انتقاء الأقوال وتصنيفها في الموضوع المراد تأييده أو المراد دحضه، وعدم تعدد الروايات في العنوان الواحد، فجاء الكتاب صغير الحجم وافي الأدلة والبراهين، حتى إنه يراعي ترتيبه للإيراد، إذ يستدل بالقرآن ثم السنة النبوية ثم آراء السلف وهكذا في كل مسألة أو موضوع من مواضيع كتابه. (الجنيدل، 1985م، مج2، ص118) (أبو بكر الخلال، 2022م، ص1-60)

ثالثاً: الموارد الاقتصادية في كتاب الحث على التجارة والصناعة والعمل:

تعد الموارد الدينية في كتابات القرون الهجرية الأولى اللبنة الأساسية في أي مؤلف بغض النظر عن المواضيع المطروحة سواء أكانت دينية أم اقتصادية أو تاريخية، فهذه حال المؤلفين الأوائل قريبي العهد من الرسول والخلفاء الراشدين، ولا يُستثنى من ذلك أبو بكر الخلال، فيُلاحظ زخم الموارد الدينية من الآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف وأثر الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين في كتابه، وللتفصيل يمكن تصنيف موارده الاقتصادية فيما يأتي:

أ- القرآن الكريم:

كتاب الله العزيز ومصدر كل العلوم، الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت، 42)، وليس هناك من شك في أن القرآن الكريم أصدق مصادر التشريع الاقتصادي وأصحّها على الإطلاق، فهو موثوق السند (الدليمي، 2006م، ص33)، غير أن القرآن الكريم لم ينزل كتابًا في الاقتصاد، كما يتحدث عنه الاقتصاديون، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد، يستنبط منه العلماء الأحكام الاقتصادية، وقد حدد القرآن الكريم المبادئ العامة للاقتصاد الإسلامي إجمالاً وإيجازاً، وحرص أبو بكر الخلّال على تضمين كتابه آيات منه، توثيقاً لكلامه، واستدلالاً على صحة مروياته؛ إذ أورد ما يقارب نسبة 11%[1] من مجمل كتابه، ويبيّن الجدول الآتي ورود الآيات في الكتاب:

الرقم	السورة	الآية	رقم الرواية
1	البقرة – 57	﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾	41
2	النساء – 29	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾	63
3	البقرة– 267	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾	64-54-42
4	البقرة – 197	﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾	102-100-99-98-96
5	الجمعة– 10+9	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ(10)﴾	113-107-105-104-29

والجدير بالذكر أن الخلّال أورد في أكثر من عشرة مواضع هذه الآيات مجتزأً منها تارةً، أو كاملة تارةً أخرى، وذلك حسب المراد إيصاله للقارئ، مقدماً بعض التفسيرات التي أوردها بعض الفقهاء، وبعض الشروح لبعض مفردات هذه الآيات، ضمن روايات مستقلة.

[1] عن إحصائية قام بها الباحث

ب- السنة النبوية:

وهي ما ورد عن رسول الله من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، وتلي مرتبة القرآن الكريم مباشرة، حيث قال رسول الله : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما بعدي أبداً، كتاب الله وسنتي) (مالك بن أنس، 2004م، 1323)، وجاء الحديث النبوي مفسر للقرآن الكريم في كثير من المواضع، ذلك أن كثيراً من الآيات جاءت مجملة أو مطلقة أو عامة، فبينها الرسول أو قيَّدها أو خصصها، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (سورة النحل، 44)، ومن هذا المنطلق كان الحديث الشريف هو المصدر الثاني للشريعة الإسلاميّة بعد القرآن الكريم، وقد أورد أبو بكر الخلّال بما يقارب 13%[1] من كتابه من الأثر النبوي، بمعدل سبعة عشر حديثاً متنوعة الموضوعات، منها:

أ- الحث على التجارة.

ب-الحث على العمل والكسب بالطرق المشروعة، وذم المسألة.

ت- إباحة جمع المال من حيث يجب، وإحلال القائم بحقوقه.

ث- إقران المال الصالح للعبد الصالح، والصدق في النية.

ج- الإجماع على وجوب العمل حتى آخر الدنيا، وآخر دنيا المرء نفسه (الموت).

ح- النهي عن ترك المرء من يعوله من أهله وعياله.

ت- آثار السلف:

يعد الأثر فيما قاله الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والرجال الثقات من السلف الصالح، من أهم مصادر أبو بكر الخلّال في كتابه "الحث على التجارة والصناعة والعمل"، خاصة عندما يُعرف أن اجتهادهم في إيجاد الحلول للمشاكل الاقتصادية التي لم يجدوا لها نصاً قرآنياً أو حديثاً نبوياً نابع في سبيل استمرارية نهج الفكر الاقتصادي الإسلامي دون منازع، ولا شك أن الزمان والمكان والناس في تغيّر مستمر وفي تطوير دائم، ولا بدّ من إيجاد قوالب اقتصادية مرنة تستوعب هذا التطور، تسير ضمن إطار الشريعة الإسلاميّة ولا تخرج عنه، وتشكّل آثار السلف نسبة 76% من مادة كتاب أبو بكر الخلال، وهي النسبة الأكبر من الموارد الاقتصادية التي اعتمد عليها أبو بكر الخلال، ويشغل الاقتباس من الإمام أحمد بن حنبل وحده نسبة 26%، وتبقى نسبة 50% لباقي الموارد التي اعتمد عليها أبو بكر الخلّال وتتضمن بعض الخلفاء الراشدين، وبعض الصحابة، وبعض التابعين وتابعي التابعين، ويوضح الجدول التالي النسب المئوية لكل من موارد آثار السلف:

الرقم	القائل في الأثر	النسبة المئوية	الرقم	القائل في الأثر	النسبة المئوية
1	عمر بن الخطاب ت 23هـ/644م	%3	8	شعيب بن حرب ت 196هـ/812م	%2
2	علي بن أبي طالب ت 40هـ/661م	%3	9	سفيان بن عيينة ت 198هـ/814م	%4
3	الحسن بن علي ت 50هـ/670م	%2	10	أحمد بن حنبل ت 241هـ/780م	%26
4	عبد الله بن عمر ت 73هـ/693م	%2	11	بشر بن الحارث ت 227هـ/841م	%3
5	سعيد بن المسيب ت 94هـ/715م	%2	12	أبو بكر المروذي ت 294هـ	%2
6	سفيان الثوري ت 161هـ/778م	%3	13	اقتباسات متفرقة	%22
7	يوسف بن أسباط ت 195هـ/811م	%2			

[1] عن إحصائية قام بها الباحث

أما بالنسبة لموضوعات هذه الموارد الاقتصادية فإنها كما في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث جاءت ضمن إطار الحث على العمل والتجارة وتحري الحلال في الكسب، والابتعاد عن مقولة التوكل على الله فقط، بل بالسعي والكفاف عن سؤال الناس، ويُلاحظ أن أبو بكر الخلّال قد اعتمد بشكل كبير على ما قاله الإمام أحمد بن حنبل بنسبة 33% من مجمل اقتباساته،

رابعاً: الأفكار الاقتصادية في كتاب أبو بكر الخلال:

يعد "كتاب الحث على التجارة والصناعة والعمل" كما سلف الذكر، من الكتب المشبعة بالأفكار الاقتصادية المتنوعة، وقد تم الحديث عن أهم الموارد الاقتصادية التي استقى منها الخلّال مادة كتابه، وبقراءة مستفيضة للكتاب يمكن إجمال هذه الأفكار في نقاط عدة، حرص الخلّال على إفرادها وانتقائها انتقاءً كان جديراً بأن يكوّن من خلاله إجابةً لكل من قال بمقولة التوكل دون العمل، ومن هذه الأفكار:

1. الحث على الكسب الحلال:

حثَّ الإسلام على العمل والكسب الحلال، وبيّن أهميته وتأثيره على الفرد والمجتمع المسلم، وعدّه جوهر الإنسان، وقد فرض الله تعالى على العباد الاكتساب لطلب المعاش ليستعينوا به على طاعة الله (الشيباني، 1986م، ص17)، ومفهوم العمل أو الكسب بالمعنى الاقتصادي هو: "الجهد البدني والعقلي الذي يبذله الإنسان في مجال سعيه الدنيوي من أجل الارتزاق والاكتساب، أي على كل جهد عقلي وبدني يبذله الإنسان في مجال النشاط الاقتصادي في سبيل انتاج الخدمات والسلع الاقتصادية لغرض الكسب والعيش" (السعيد، 1983م، ص9).

وقد حرص العلماء المسلمين على ضرورة تعميم هذه الصورة في المجتمعات العربيّة والإسلاميّة وخاصة في صدر الإسلام والعصور اللاحقة، ولم يتوانَ أبو بكر الخلّال في إيراد ما يثبت هذه الفريضة على المسلم، بحيث أورد في كتابه من النصوص القرآنية والأحاديث التي تحث على العمل والكسب، وأبرز ما أورده قوله تعالى في الكتاب الحكيم: "إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع* فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله" (سورة الجمعة، الآية 10،9) (أبو بكر الخلال، 2022م، ص49)، واستقى الخلّال من السنة النبوية الشريفة في العمل ما قاله □ عندما سُئِلَ عن طيب الكسب، فقال □: "عمل الرجل بيده وكلٌّ بيعٍ مبرور" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص26)، وأيضاً عن أبي هريرة، عن رسول الله □ قال: "كان داود لا يأكل إلا من عمل يده" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص27)، وأورد الخلّال رواية أخرى في هذا المعنى عن محمد بن ثور، قال: كان سفيان الثوري يمر بنا ونحن جلوس في المسجد الحرام، فيقول "ما يجلسكم؟" فنقول: فما نصنع؟ قال: "اطلبوا من فضل الله، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص20)، وفي أقواله أن العمل فريضة أورد الخلّال عن أبو بكر المروذي قوله: "سمعت أبا جعفر الخراساني، حدثنا أبو صالح، قال سمعت يوسف بن أسباط، يقول لشُعيب بن حرب: أشعرت أن طلب الحلال فريضة؟ قال نعم" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص21).

وهذا في مجمله حثٌ على الإنتاج ويُعد في الاقتصاد الإسلامي وسيلة لإدراك غاية سعادة الفرد ورفاهية الجماعة، فالبذل في سبيل الإنتاج عمل مادي يؤدي إلى خلط سلع وخدمات توجه لإشباع حاجات الجماعة، ومن هذا المنطلق فإن الغاية من الإنتاج تبدو ضرورة لحاجات الفرد والجماعة. (موسوعة الاقتصاد الإسلامي، 1980م، ص94).

يرتبط العمل في فكر أبو بكر الخلّال الاقتصادي بالعقيدة الإسلامية، ويقرنه بطاعة الله تعالى والامتثال لأوامره، واتباع سنة نبيه □، فأورد في هذا ما يؤكد رؤيته الاقتصادية لمنافع العمل من حيث منظور الدين الإسلامي، ومن ذلك عن قتادة بن دعامة، أنه قال في هذه الآية: "يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم" (سورة النساء، 29)،

قال: "والتجارة رزقٌ من رزقِ الله، حلالٌ من حلالِ الله، لمن طلبها بصدقها وبرها" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص33)، وفي هذا حثٌّ على التجارة، وأن يكون القائم بها يتصف بالأمانة والصدق، وكذلك وما أورده عن سعيد بن المسيب، أنه ترك دنانير، فقال: "اللهم إنك تعلم أني لم أجمعها إلا لأصون بها ديني وحسبي، لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي دينه، ويكفُّ به وجهه" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص29)، وفي ضرورة تحرّي المسلم في رزقه خوفاً من الانغماس في الحرام، أورد رواية عن أبي يوسف الغسولي، قال: "أنا أتفقه في مطعمي من ستين سنة" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص24)، وقوله عن بشر بن الحارث قال: "ينبغي للإنسان أن ينظر في مكسبه ومطعمه ومسكنه، ينبغي للإنسان أن يتحرى تجارته" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص23).

وقد ذكر في عدة نصوص أوردها يُستنتج من خلالها على تنوع الأعمال ومصادر الدخل التي يمكن للإنسان أن يمتهنها ويكسب من خلالها رزقه، وهذا دليل على تنوع الموارد الاقتصادية، ومن الجدير ذكره أن الإنسان لم يكن ليستطيع أن يجمع كل المهن والصناعات بيده، لذلك يُستدل من نصوصه أنه أراد بذلك التشجيع على تقسيم العمل أو التخصص وضرورة الاجتماع، ومن خير ما يمكن إيراده في هذا المعنى قول أبو الفضل الدمشقي[1]: " ولم يكن الواحد من الناس لقصر عمره أن يتكلف جميع الصناعات كلها...فاحتاج الناس لهذه العلة إلى اتخاذ المدن والاجتماع فيها ليعين بعضهم بعضاً لما لزمتهم الحاجة إلى بعضهم بعضاً" (الدمشقي، 1999م، ص15)، وقد سبق أبو بكر الخلَّال الدمشقي في هذا الفكر بقرون، وأول ما أورده في هذا عن الأنبياء، فهم قدوة الناس، ومن ذلك قول أبو هريرة عن رسول الله □: "كان زكريا نجاراً" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص35)، ومن ذلك أيضاً عن هشام بن عروة عن أبيه قال: "كان داود يخطب الناس على منبره، وإنه ليعمل الخوص[2] بيده، فيعمل منه القفة أو الشيء، ثم يبعث به مع من يبيعه ويأكل من ثمنه" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص34)، وعن كعب الأحبار قال: "أما إدريس فإنه كان رجلاً صالحاً يتعبد الله ويصوم ويصلي، وكان خياطاً يتصدق بكسبه ما فضل من قوته" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص35)، وعن مجاهد، في قوله: "كلوا من طيبات ما رزقناكم" (سورة البقرة، 172) (أبو بكر الخلال، 2022م، ص26)، وعن سعيد بن المسيب، أن لقمان، كان خياطاً (أبو بكر الخلال، 2022م، ص35)، وهذا إنما يدل على حسن تقسيم العمل وتوزيعه، بحيث يتجه الأفراد إلى الحرف والمهن التي تتلاءم مع استعدادهم الجسدي والعقلي النفسي، وعلى هذا يجب توزيع العمل على كل من هو أهل له ليكتمل عنصر العمل في الإسلام، بحيث يقوم نوع من التخصص في إنجاز كل جزء من أجزاء العملية الإنتاجية، وهذا ينطوي على العديد من المزايا فترفع كفاءة العامل بسبب تخصصه، ويخفّض تكاليف الإنتاج لأنه يختصر الوقت، وفي النهاية يدفع إلى نمو الإنتاج الكبير. (موسوعة الاقتصاد الإسلامي، 1980م، ص103-105).

2. الإنفاق الاجتماعي:

يحث الإسلام في تعاليمه إلى ضرورة الإنفاق في سبيل الله، وأنذرَ المجتمع بالهلاك والثبور إذا أحجم عن أداء هذه الفريضة، حتى أحالتها من فريضة خلقية إلى فريضة إلزامية لا تختلف عن الزكاة إلا في ترك الخيار لمالك المال في تحديد مقدارها، هذا الإنفاق يهدف بالدرجة الأولى إلى تحقيق كل ما تتطلبه مصلحة المجتمع على وجه الدوام والاستمرار، وهو تكليف مشروع على

---

[1] أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي، لم يرد له ترجمة وافرة ضمن كتب التراجم، لم يُذكر من المصنفين، كان تاجراً حذقاً، عاش الدمشقي في طرابلس الشام خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وكان تاجراً حذقاً، كتب كتاب "الإشارة إلى محاسن التجارة" وصُنّف ضمن كتب التراث العربي الإسلامي. (عاشور، 1973م، ص5)

[2] الخوص: ورق النخل والنارجيل وما شاكلها، مفردها خوصة، وأخوصت النخلة أي بدت، وخوصت الفسيلة انفتحت سعفاتها، والخوّاص: معالج الخوص وبياعه، والخياصة: عمله، وقيل: وليته في الشوك قد تقرمصا.....على نواحي شجرٍ قد أخوصا (ابن منظور، 1882م، ج7، ص32)

مال الفرد في المجتمع الإسلامي، وتكليف غير محدود إلا بما توجبه مصلحة المجتمع (الجمّال، 1980م، 225،226)، ومن هذا المنطلق ينبغي على كل مسلم أن ينفق في وجوه الخير مما تيسر من ماله، وذلك ضمن معايير محددة، منها مقدار المال.

يقدم أبو بكر الخلّال ما يثبت به فكره الاقتصادي من النصوص، ومن ذلك قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم" (سورة البقرة، 267) (أبو بكر الخلال، 2022م، ص34)، والحديث النبوي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: "الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص40)، وبهذه النصوص يمكن القول أن لكل نشاط إنساني وخاصة نشاط العمل هدف وهو اشباع الحاجات، منها الحاجات الخاصة ومنها العامة، ويشير الخلّال إلى ضرورة اشباع هذه الحاجات ففيها الفائدة للفرد والمجتمع (موسوعة الاقتصاد الإسلامي، 1980م، ص567)، وقد أورد أيضاً في هذا المعنى من آثار السلف الصالح ما قاله رجل للإمام أحمد بن حنبل: ترى أن أعمل؟ قال: نعم، وتصدق بالفضل على قرابتك (أبو بكر الخلال، 2022م، ص12)، وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: ترى إن اكتسب رجل قوت يومٍ أفضل؟ قال: وإن اكتسب فضلاً فعاد به على قرابته أو داره أو ضيفٍ، فهو أحب إليَّ من ان لا يكتسب، وأحبُّ إليَّ أن يستعفَّ" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص51)، ومن خلال هذه النصوص يُرى أن هدف الاقتصاد الإسلامي هدف سامٍ، لتحقيقه العدالة الاجتماعية والتي تقود إلى التكافل الاجتماعي، فالغني يعين الفقير، والقوي يساعد الضعيف، على أساس المحبة والإخاء، وهذه صورة من صور الفكر الاقتصادي التي أراد أبو بكر الخلّال تعميمها على الناس في عصره.

3. المال في فكر أبو بكر الخلال:

جاء ظهور النقود وليد الحاجة إليها، وتشكلت السلع التي اتخذت نقوداً بأشكال مختلفة تبعاً لاختلاف البيئات والعصور، وأُتخذت المعادن كوسيلة للتبادل حتى استقر الأمر على معدني الذهب والفضة وأصبحا أساس النقود (موسوعة الاقتصاد الإسلامي، 1980م، ص469)، وقد ناقش العلماء المسلمين مسألة النقود في مؤلفاتهم الاقتصادية، وبيّنوا أهميتها من حيث اكتسابها وتنميتها، والأهداف المرجوة من امتلاكها، بحيث تفيد المصلحة الفردية ومصلحة المجتمع ككل، وأورد الخلّال في أهمية صلاح المال قول رسول الله لعمرو بن العاص: "يا عمر، نعم المال الصالح للمرء الصالح" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص30)، وفي هذا إباحة لجمع المال من حيث يجب، لأن ربطه الصلاح بالمال والرجل معاً بياناً واضحاً، وذلك فنعم العمل الصالح بالنية الصالحة، ونعم المال الصالح للعبد الصالح (ابن حبان، د.ت، ص234).

ضمّن أبو بكر الخلّال كتابه ما يقارب الثماني روايات في معنى المال وكسبه، ومن خلال النصوص التي أوردها يُلاحظ أن المعنى المراد منها هو الحث على اكتسابها بالطرق الشرعية، وصرفها في أوجه الحق، والعمل على الاستفادة والإفادة منها، ومن ذلك قوله عن قيس بن عاصم أنه أوصى بنيه فقال: "عليكم بالمال واصطناعه فإنه منبهة الكريم ويُستغنى به عن اللئيم، وإياكم والمسألة، إنها آخر كسب الرجل" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص29)

تضمنت روايات أبو بكر الخلّال عن المال موضوعات عدة، ومن خلال التمحيص فيها يمكن استنباط فكره الاقتصادي المالي، ومن ذلك تشجيعه على كسب المال الحلال ونهيه عن الحرام منه، لأن القليل الحلال خيرٌ من الكثير الحرام، وأورد في هذا عن أحمد بن حنبل أنه قال: (ابن قتيبة الدينوري، 1996م، ص195)

قليـــــلُ المـــــالِ تُصـــــلحهُ فيبقـــــى ولا يبقـــــى الكثيـــــرُ مـــــعَ الفســـــادِ

ولما للمال من مزايا الحفاظ على الدين والحرص على طاعة الله أورد الخلّال عن شعيب بن حرب، قال: "لا تحقرنَّ فلساً تُطيعُ الله في كسبه، ليس الفلس، إنَّما الطاعة تُراد، عسى أن تشتري به بقلاً فلا يستقر في جوفك حتى يُغفر لك" (أبو بكر الخلال،

2022م، ص21)، وفي هذا المعنى أورد أيضاً عن سفيان الثوري قال: "كانوا يرون السعة عوناً على الدّين" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص27)، ومن هذا يُستدل على أن كسب المال الحلال ولو كان قليلاً فهو معونة للمرء يحفظ دينه ويواظب على طاعة الله.

والمال في نظر الخلّال صيانة المرء لعرضه وأهله، يقضى به حوائج الفرد وعياله، ويجنبهم المسألة التي فيها هوان النفس على الناس، ويودي بهم إلى التهلكة، وقد أمر الإسلام على قضاء الديون، وأورد أبو بكر الخلّال عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله : "كفى بالمرء إثماً أن يُضيّع من يقوت" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص39)، وروى الخلّال عن سعيد بن المسيب أنه قال: "لا خير في من لا يطلب المال يقضي به دينه، ويصون به عرضه، ويقضي به ذمامه، وإن مات تركه ميراثاً لمن بعده" (أبو بكر الخلال، 2022م،)، وعن سعيد بن المسيب أيضاً أنه ترك دنانير، فقال: "اللهم إنك تعلم أني لم أجمعها إلا لأصون بها ديني وحسبي، لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي دينه، ويكف به وجهه" (أبو بكرا الخلال، 2022م، ص29).

4. العمل لا ينافي التوكل:

التوكل الحق هو الاعتماد على الله تعالى وتفويض جميع الأمور إليه، إلى جانب السعي في الأسباب المشروعة، والقرآن الكريم زاخر بالآيات التي تذكر التوكل على الله منها قوله سبحانه تعالى: "وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين" (سورة المائدة، الآية 23)، وقال الله تعالى: "وعلى الله فليتوكل المؤمنون" (سورة التوبة، الآية 51)، وكان النبي يستفرغ الوسع والجهد في الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله، فكان يتزوّد في أسفاره، ويعدّ السلاح في حروبه، وقال ابن رجب في التوكل: "هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها". (ابن رجب الحنبلي، 2001م، ج2، ص484).

بعض الناس اتخذوا من التوكل حجةً لترك العمل، واستسلموا للأقدار دون منازعة لها بالأفعال المشروعة، وقد أمرنا الله بالعمل فقال: "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله" (سورة الجمعة، الآية 10)، فالكسب ليس برازق بل الرازق هو الله، والمراد من التوكل ليس التبطّل والتعطل وترك التسبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين، بل لا بدّ فيه من التوصل بنوع من السبب.

في هذا السياق أورد الخلّال نصوصه الداعمة بالتوكل على الله والأخذ بالأسباب، فبدون الأخذ بالأسباب المشروعة تكون دعوى التوكل جهلاً بالشرع، وتواكلاً لا توكّل، وأورد الحجج على من يزعمون أنهم يتوكلون فيتركون العمل، ومن نصوصه عن عبد الله بن أحمد قال: "سألت أبي عن قوم يقولون: نتّكل على الله ولا نكتسب فقال: ينبغي للناس كلّهم يتوكّلون على الله عز وجل، ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب..." (أبو بكر الخلال، 2022م، ص50)، فالمسلم مُطالب بأن يتوكل على الله ويستعين به ويسعى لكسب معيشته ومعيشة من هو تحت رعايته، وأورد أيضاً: "أخبرني محمد بن علي، ثنا صالح...قال: سُئل أبي رحمه الله وأنا شاهد، عن قوم لا يعملون، ويقولون: نحن متوكلون، فقال: هؤلاء مبتدعة" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص51)، ومعنى ذلك أن التواكل يتنافى مع العقيدة الإسلاميّة ويدعو إلى البدع، وذلك لما فيه من كسل وخمول والاعتماد على الغير، وكذلك سأل أبا الحارث الإمام أحمد بن حنبل عن "الرجل يدع العمل ويجلس، ويقول: ما أعرف إلا ظالماً أو غاصباً، فأنا آخذ من أيديهم، ولا أعينهم، ولا أقويّهم على ظلمهم" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص52)

حث أبو بكر الخلّال على الصدق بالتوكل، فالأخذ بالأسباب مقرون بصدق التوكل وصحة الدين وقوة اليقين، وأورد فصلاً في هذا المعنى ومما أورده من النصوص قوله: "أخبرنا أبو بكر المرّوذي، قال: قيل لأبي عبد الله: أيُّ شيء صدق التوكل على الله عز وجل؟ فقال: أن يتوكل على الله، ولا يكون في قلبه أحدٌ من الآدميين يطمعُ أن يجيئه بشيء، وإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلاً" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص55)، وهنا لا بدّ من ذكر أن التوكل على الله وشرط صحته هو الصدق فيه، والأخذ

بالأسباب النافعة المأذون بها شرعاً، ولا تعارض مطلقاً بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب، وساق الخلّال رواية أخرى في صدق التوكل فقال" :أخبرني محمد بن أحمد بن منصور، قال سأل المازنيُّ بِشر بن الحارث عن التوكل، فقال: المتوكّل لا يتوكّل على الله ليُكفى، لو حلَّت هذه الفضة في قلوب المتوكلة لضجّوا إلى الله بالندم والتوبة، ولكن المتوكل تَحُلُّ بقلبه الكفاية من الله عز وجل، فيُصدّق الله عز وجل فيما ضمن" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص56)، ومن ذلك يمكن القول أن التواكل هو ادَّعاء التوكَّل على الله وعدم الأخذ بالأسباب، والاعتماد على الغير من المخلوقات، ومن ناحية أخرى إنّ اعتماد المرء على الأسباب وحدها خلل في عقيدته وإيمانه، وترك أخذه بالأسباب خلل في توكله وعقله.

يورد أبو بكر الخلَّال في أحد فصول كتابه نصوصاً تدل على كراهية التقلل في التزوّد عند دخول المفاوز بغير زادٍ ونفقة، ومن ذلك قوله: "أخبرني أحمد بن الحسين بن حسان أنَّ أبا عبد الله –يقصد الإمام أحمد بن حنبل– سُئل عن الرجل يدخل المفازة – الأرض المقفرة– بغير زاد، فأنكره إنكاراً شديداً، وقال: أُفٍّ أُوفّ، لا، لا، ومدَّ بها صوته، إلا بزاد ورُفقاء وقافلة" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص41)،

وقوله: "قال أبو بكر المرّوذي في هذه المسألة –يقصد التزود عند دخول المفازة والسفر– إن أبا عبد الله جاءه رجل من أصحاب ابن أسلم، قال: ما تقول في رجل يُريد سفراً، أيّما أحب إليك، يحمل معه زاداً أو يتوكل؟ قال له أبو عبد الله يحمل زاداً ويتوكل" (أبو بكر الخلال، 2022م، ص43).

يُستدل من النصوص السابقة على حرص أبو بكر الخلّال على تنبيه الناس على ضرورة مراعاة الحاجة للأكل والشرب، فإن "الله خلق أولاد آدم خلقاً لا يقوم أبدانهم إلا بأربعة أشياء: الطعام والشراب، واللباس، والكن (السكن)" (الشيباني، 1986م، ص74)، والهدف الأسمى لتلبية هذه الحاجات هو عبادة الله وعمران الأرض.

•الخاتمة:

يعد كتاب "الحث على التجارة والصناعة والعمل" وثيقة اقتصادية مُضافة إلى الفكر الاقتصادي في الحضارة والتراث العربي والإسلامي، وتستمد هذه الوثيقة أهميتها من استنادها على مصادر التشريع الإسلامي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بالإضافة إلى الاعتماد على آثار السلف التي أغنت الكتاب بالمآثر والعبر الاقتصادية، ويدل تنوع الروايات الواردة في الكتاب على سعة العلم لدى المؤلف أبو بكر الخلال، فهو أحد أعمدة المذهب الحنبلي وجامع مسائله كما سماه كبار المؤرخين.

لوحظ من خلال ما تقدم أن الفكر الاقتصادي لدى الخلَّال ينطلق من الحث على المنفعة الفردية والعامة، ولذلك يُرى إصراره على إيراد الروايات الأكثر داعمة للعمل والكسب بالطرق المشروعة، وتوضّح من خلال ذلك أهمية العمل ضمن منظومة الاقتصاد الإسلامي وأثره على الفرد والجماعة، ولا يكتف بذلك بل يحث على تخصيص العمل وتقسيمه، ويؤكد على تنوّع الموارد الاقتصادية في عصره، ويذكر أنواع عدة للعمل كالتاجر والنّجار والخيّاط والحطّاب، وغيرها، ويورد روايات النهي عن سؤال الناس، والجلوس بدون عمل، والاكتفاء بالتوكل على الله بحجج واهية لا يقبلها الدين الإسلامي.

يؤكد أبو بكر الخلَّال على أهمية الإنفاق الاجتماعي وأثره على المجتمع ودوره في تحقيق التكامل الاجتماعي، وهذا يعكس حرص الخلَّال على تعميم صورة إنفاق المكتسب على نفسه وعياله، وإنفاق الغني على الفقير، وهي من صور الفكر الاقتصادي الإسلامي التي يهدف إلى تعميمها بين الناس في مختلف العصور.

وفي الحديث الذي أورده الخلَّال في معنى المال وأهميته، يُلاحظ من خلال النصوص الواردة أنه يشير إلى المنافع التي يعود المال بها على المرء من حيث صيانة الدين والعرض والنفس، وتجنب المسألة والذلة والهوان على الناس.

في الختام يمكن القول أن أبو بكر الخلّال بتأليفه كتابه "الحث على الصناعة والعمل" يسجّل وثيقة من وثائق تاريخ العرب والمسلمين في ريادتهم في المجال الاقتصادي، ويعد مساهمة تُضاف إلى مساهمات العلماء في ترسيخ وتطوير الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، وعلى الرغم من أن أبو بكر الخلّال ناقلاً عن السلف والسنة، إلّا أنه لم يكن متصرفاً في منقولاته، ولم يُبدِ رأيه في أي رواية أوردها، إلا أنه كان انتقائياً دقيقاً، يضع النصوص المؤكدة في موضوعات محددة ضمن السياق المراد تقديمه.

التمويل: هذا البحث ممول من قبل جامعة دمشق وفق رقم الممول 50100020595

- **المصادر والمراجع:**

1. أبو بكر الخلال، أحمد بن محمد ت 311هـ/923م. (2022م). *الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدّعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك*. ط: 1. 60

2. أبو بكر الخلال، أحمد بن محمد ت 311هـ/923م. (1995م). *الحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدّعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك*. ط: 1. 127

3. بيطار، أمينة. (1997م). *تاريخ العصر العباسي*. ط: 4. منشورات جامعة دمشق: 456

4. ابن تغردي بردي، يوسف بن تغري بردي ت 874هـ/1469م. (1992م). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. ط: 1، دار الكتب العلمية: 416.

5. الجنيدل، حمد. (1985م). *مناهج الباحثين في الاقتصاد الإسلامي*. شركة عبيكان للطباعة والنشر: 395

6. الجمّال، محمد عبد المنعم. (1980م). *موسوعة الاقتصاد الإسلامي ودراسات مقارنة*. ط: 1. دار الكتاب اللبناني: 749

7. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت597هـ/1200م. (2000م). *صفوة الصفوة*. دار الحديث: 164

8. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت597هـ/1200م. (1992م). *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*. دار الكتب العلمية: 507.

9. ابن حبان، محمد بن حبان ت354هـ/965م. (د.ت). *روضة العقلاء ونزهة الفضلاء*. دار الكتب العلمية: 289

10. الحموي، ياقوت بن عبد الله ت626هـ/1228م. (1977م). *معجم البلدان*. دار صادر: 549.

11. خليفة، حاجي، مصطفى بن عبد الله ت1067هـ/1657م: *كشف الظنون*. دار إحياء التراث العربي. (1941م). 93

12. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي ت463هـ/1070م. (2001م). *تاريخ مدينة السلام*. دار الغرب الإسلامي: 604.

13. الدليمي، أكرم. (2006م). *جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته*. ط: 1، دار الكتب العلمية: 720

14. الدمشقي، جعفر بن علي ت حوالي 570هـ/1175م. (1999م). *الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها*. ط: 1: دار صادر: 117

15. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ت748هـ/1347م. (1998م). *مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن*، ط: 4. لجنة إحياء المعارف النعمانيّة : 98

16. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ت748هـ/1347م. (1992م). *تذكرة الحفاظ*. دار الكتب العلمية: 1760

17. الرباط، خالد، إمام، وائل. (2009م). *الجامع لعلوم الإمام أحمد*. ط: 1. دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث: 247

18. ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد ت 795هـ/1312م. (2001م). الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي. ط: 1. دار العاصمة: 578

19. الزركلي، محمد خير رمضان. (2002م). *الأعلام*. ط: 15، دار العلم للملايين: 336.

20. سزكين، فؤاد. (1991م). *تاريخ التراث العربي العلوم الشرعية*. جامعة الإمام محمد بن سعود: 584

21. السعيد، صادق مهدي. (1983م). *مفهوم العمل وأحكامه العامة في الإسلام*. مؤسسة الثقافة العمالية: 96

22. الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف ت476هـ/1083م. (2016م). *طبقات الفقهاء*. دار الرائد العربي: 231

23. الشيباني، محمد بن الحسن ت 189هـ/804م. (1986م). *الاكتساب في الرزق المستطاب*. ط: 1. دار الكتب العلمية: 92

24. الصفدي، خليل بن إيبك ت746هـ/1345م. (2000م). *الوافي بالوفيات*. ط: 1. دار إحياء التراث العربي: 284.

25. الصنعاني، محمد بن إسماعيل ت1182هـ/1768م . (1997م). *توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار*. ط: 1. دار الكتب العلمية. 284

26. الصيرمي، حسين بن علي ت 436هـ/1044م. (1985م). *أخبار أبي حنيفة وأصحابه*، ط: 2. عالم الكتب: 178

27. طقوش، محمد سهيل. (2009م). *تاريخ الدولة العباسية*. ط: 7. دار النفائس: 281

28.عاشور، السيد محمد. (1973م). *دراسة في الفكر الاقتصادي العربي أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي (أبو الاقتصاد)*. دائرة الاتحاد العربي: 69

29. عبد الحافظ، علي؛ الخضر، زكريا هاشم. (2023م). *الدور الوظيفي لجامع الرصافة ببغداد إلى بداية السيطرة البويهية سنة 334هـ/945م*. مجلة إكليل للدراسات الإنسانية. العدد الثالث عشر. 327-349

30. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد ت1089هـ/1678م. (1989م). *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. دار ابن كثير: 451.

31. الغزي، مُحَمَّد بن عبد الرحمن ت1167هـ/ 1754م. (1990م). *ديوان الإسلام*. ط: 1. دار الكتب العلمية: 240

32. ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى ت 749هـ/ 1348م. (2002م). *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*. ط: 1. المجمع الثقافي: 457

33. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم ت276هـ/889م. (1996م). *عيون الأخبار*. ط: 2. دار الكتب والوثائق القومية. 386

34. ابن كثير، إسماعيل بن عمر ت774هـ/1372م. (1998م). *البداية والنهاية*. دار هجر: 863.

35. مالك بن أنس ت179هـ/795م. (2004م). *الموطأ*. مؤسسة زايد بن سلطان. 1724

36.ابن منظور، محمد بن مكرم ت711هـ/1311م. (1882م). *لسان العرب*، دار صادر: 472.

37. أبو يعلى الفرّاء، محمد بن أبي يعلى ت526هـ/1131م. (1999م). *طبقات الحنابلة*. مكتبة الملك فهد الوطنية: 643